

الشعر الجاهد ولا النقد التقليدي . انها مرحلة التجربة الى اقصى الحدود في زمان الانهيارات والولادات العظيمة .

و — حين يطرح رجاء النقاش رأيه في قومية شعر درويش ، وفي أن هذا الشعر ليس شعرا بروليتاريا فانه يستشهد برأي للشاعر الفلسطيني توفيق زياد « الذي يطلب من درويش التأكيد على المحتوى وعلى تعميق العناصر البروليتارية في شعره » ليخلص الى أن شعر درويش يدور في فلك آخر « فلك التمسك بالأرض والانتماء العربي » ومحمود درويش « اقرب في نظر الكاتب الى القوميين منه الى الشيوعيين » والحقيقة اننا لم نكن نريد الإشارة الى هذه القضية لولا المنطلق الايديولوجي الذي تستند اليه ولولا انها تعبر عن الشكل الذي تحسول فيه الايديولوجية العربية السائدة امتصاص الاعمال الابداعية وتحويلها الى هامش راكد .

فنحن لا يهمننا كثيرا اذا كان درويش عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي او لم يكن . الذي يهمننا هو الموقع الذي نظر منه الى الصراع . والواقع ان الشعراء في الارض المحتلة كانوا في اندفاعهم نحو تأكيد الانتماء القومي للشعب الفلسطيني يؤكدون على النواحي القومية ويبدون تعاطفا واضحا مع الانظمة العربية التي كانت تخوض المعارك ضد الاستعمار . ولأن شعرهم كان خطابيا وتحريزيا في سمته الغالبة فانهم لم يرفعوا راية النقد للواقع العربي كما انهم لم يستطيعوا ولنفس السبب ان يبلوروا من خلال افقهم الاشتراكي الثوري تجربة تشكيلية جديدة وهذا ما سمح للانظمة العربية ولنظريتها بمحاولة استيعاب اشعارهم . لكن الافق الذي يظهر بعد مذبحه ايلول هو افق مختلف . فالمرحلة الرومانسية في الحركة

الثورية الفلسطينية تعمدت بالدم وتصلبت اظفارها الادبية فاذا بها تتمايز عن الواقع العربي الراكد وتشارك في عملية الهدم والنقد كما يظهر من تصائد درويش الأخيرة .

ان الايديولوجيا السائدة تملك الكثير من خطوط الدفاع . وهي تلتف حول التحرك الثوري محاولة استيعابه وتجبيره لخدمتها . وهذا بالضبط هو ما يجري للشعر الفلسطيني القادم من اسرائيل . اما محاولة رجاء النقاش اقامة التعارض بين الانتماء الماركسي والانتماء القومي فان الف باء الماركسية يدلنا على عكس تصور الناقد عدا ان هذا ليس مجال بحثنا الان .

ز — ان الشعر العربي ، شأنه شأن جميع مظاهر حياتنا الفكرية العربية يمر في أزمة النمو والصرورة . فاذا لم يستطع الوعي الثوري العربي ان يفرس عميقا في حركة الجماهير الواقعية ويقود هذه الحركة فنبنا نبحت عن فن ثوري . واذا كانت المغامرة اللغوية والتشكيلية في تصائد ادونيس ودرويش والبياتي وغيرهم لم تستطع ان تصبح جزءا من حركة واقعية شاملة ، فانها سوف تختنق في ركاب طبول الضبول الذي يجرنا الى الموت في عربات الفكر التقليدي الجاهد والممارسة السياسية الرجعية المسيطرة . واذا كان الشعر الفلسطيني قد شكل علامة مضيئة في حركتنا الشعرية المعاصرة فلانه بالضبط استطاع ان يبلور العديد من متجزات الحركة الشعرية المعاصرة حول الارض من مواقع الجماهير المناضلة . من هنا يصبح دور النقد شديد الخطر وتصبح مسؤوليته اعظم . انها مسؤولية الوعي للاخطار التي تواجهه والقدرة على الالتحام بالواقع وتجاوزه في سبيل ان تشق المسيرة الثورية لنفسها طريقا .

الياس خوري